ض

رواية

تأليف
عليّ الكرّار صبّاغ

إنتباه

إنّ سن الـ + 15 هو عمرٌ تقديريٌّ فقط ..

و هذا يعود للشخص نفسه .

يمكن لحياة الإنسان أن تنقلب رأساً على عقب ، دون أي إنذار مسبق ..

لكنّ الصعوبة لا تكمن في الانقلاب نفسه ، بل بأن يكتشف الإنسان أنّه ...

كان يعيش في كذبة



-

ماري ، فتاة حالمة طموحة تبلغ من العمر سبعة عشرعاماً، تعيش في كنف أمّها داخل منزل متواضع في مدينة مونتريال في كندا ، و كان كلّ ما تملك ؛ أمّها ، صورٌ ورقيّة قديمة ، و طائر مينا صغير ، سمته كوكي ...

منذ صغرها ، كانت تنظر في صورها وهي رضيعة بين يدي أبيها ، حيث كان ذلك الرجل الوسيم ذو العينين العسليتين ، الذي كان يرتدي ثيابا كلاسيكية راقية ، يحملها بين يديه مقبّلا خدها ، فرحا ، حنونا ، و في عينيه مستقبل تلك الفتاة التي سماها " ماري " ، اسمٌ يعني : الامرأة العظيمة ... لكن ، لم يكن يعلم بأن في مستقبل هذه الطفلة ، لا وجود له ابداً ، إلّا أنّ القدر أراد شيئا آخر ، فصحيح بأنه لن يكون ، لكنّ طيفه لن يفارقها ابدا ...



البداية

- الساعة التاسعة مساءً - ٣ - ٣ - ٢٠٢٧

- ماما ! لقددد اتيتتت !!! ماما ؟؟ اينكِ ؟! اوكيه !! اياك و ان تردّي يا ليان !! اليوم عيد ميلادي ، مممم ، فهمت فهمت ، مفاجأة ؟!!!

في العادة ، كانت ماري تعود الى المنزل و رائحة الطعام تملئ اركانه ، و لا ننسى كوكي ، الذي كان كعادته ، عند أول خطوة لها داخل المنزل ، يطير نحوها بكل حب و لهفة .. لكن ، هذه المرة ، لا صوت للصّحون و الملاعق ، و لا لجانحَي كوكي المرفرفين ، هدوء غريب يلازم سمعها ..

- غريب .. اينك ؟!! ماما ..

قالتها متجهة نحو المطبخ ، و كلما اقتربت اكثر، اذ بدقّات قلبها تسرع أكثر فأكثر.. اكثر فأكثر… و فجأة ! كوكي يطير برعب نحوها ، و بدأ يصطدم بالحيطان مضطربا ..

- كوكيي ما بك ؟؟!!! اين ماما ؟!

راح كوكي يقول "ماما" بلهجته الببغائية، بكل خوف و ارتباك !

و نزل على الارض مرتعدا، فأدركت ماري بأن شيئاً سيّئا قد حدث ، و بدأت دقات قلبها تتصاعد، وضعت محفظتها على الأرض، و مشت نحو المطبخ بخطوات بطيئة،

وقفت على حافة الباب ، فرأت كرسيّاً مقلوبا في منتصف المطبخ ، وظلّا يتأرجح بهدوء ، ثم شعرت ببرد غريب في المكان .. بلعت ريقها ، و نظرت الى يمين المطبخ ، فوقعت عيناها أولا على حبل معلق في السقف ، و قدمَي أمها التي علّقت بين الأرض و السماء ..

وجدت أمّها مشنوقة ، فتوقف الزمن للحظة ، وانقطع حبل القدر ..

تتأرجح امها يمينا و يسارا ، كأنها ساعة أضاعت الزّمن، رَأت عالمها ميّتاً ، و مربوطا بحبل النهاية ..

في البداية ، سكّين شقّ قلبها ، لم تصرخ و لم تبكي ، فتحت فمها برعب ، و بدأت ترتجف ، و ظلّت متجمّدة في مكانها ، غير قادرة على التعبير ، حاولت الصراخ ، و لكن صوتها ظلّ محبوساً من قبح ما رأت .. و بعد أن استوعب عقلها ، بدأت تتمتم بصوت يكاد بالقوّة يسمع :

" ما .. ما .. ماما .. "

و بدأت شلّالات من الدموع تنهمر من عينيها دون إرادة منها ، فتحاول أن تقترب ، أن تصرخ ، أن تتكلم ، لكن لا فائده !

في هذه اللحظة ، توقف العالم بأكمله عن الحركة ، و أدركت ماري ، بأن المنزل الذي كان منزلا قبل بضع دقائق ، أصبح خرابا ، ليس بسقوط ركن من أركانه ، بل باعتلاء امّها مسرح هذه الجريمة ...

راح صوتها يعبر حاجز الجدران و يشق السماء ، و كوكي يطير و يصطدم بالجدران و الزجاج :

- ماما ، لا ، لا لا !!!! أمّي ارجوكِ أنظري الَيّ !!

ساعدونيي !! ارجوكم !! أمّي تموت !!! ساعدونيي !!!!!

و من هنا ، تبدأ قصّة ماري ، و تبدأ رحلتها التي تبعد عن الحقيقة خطوة واحدة ...

الفصل الاول

-لَم أنتَبِه-

الساعة السابعة صباحا ؛ ٧ - ٣ - ٢٠٢٧

صوت طرقٍ على الباب ، لكن داخل المنزل ، ماري ، جالسة في سريرها ، كجثة باردة .. تنظر في الجدار ، لا صوت ، لا حركة ، ولا نفس ..

نادين :

- ماري ! يا ماري ، افتحي الباب ..

لكن لا حياة لمن تنادي ، ظلّت نادين منتظرة أمام الباب عشر دقائق ، فبدأت تشك في سلامة ماري ، و بدت تعابيرالخوف على وجهها ، "ماذا لو جرى لماري شيء ؟؟ لماذا لا ترد ؟؟"

فقرّرت نادين الدخول من الحديقة الخلفية ، ولما فتحت النافذة و دخلت منها الى غرفة ماري ، وجدت نفسها في خراب ، حذاء يمين السرير ، و الآخر تحته ، أوراق و زجاج مكسّر في كلّ مكان ، الخزانة واقعة على الأرض ، و ملابس مكدسة في كل مكان .. وماري لا زالت يابسة .. فقالت نادين مقطّبة انفها اشمئزازا :

- ماري ! ما هذا ؟! دبّ انتِ ام بشر ؟! هيّا يا روحي ، قومي لنجهّزك للذهاب الى الثانوية .

- نادين حُلّي عنّي ، اريد ان انام .
- هيا قومي ، و إلّا سوف اسحبك من شعرك الاحمر هذا ! أمامنا يوم طويل في ثانويتك الجديدة .
- لن أذهب ، إذهبي لوحدك .
- حسنا ، أنت اردتِ هذا يا ماري !

قامت نادين بإزاحة كل الثياب من فوق ماري ، و أجبرتها على القيام ..

قامت ماري بكل ثقلها ، و كأن قلبها كاس ممتلئ يصعب حمله .. ارتدت ثيابها ، و جهّزت نفسها بتشجيع من نادين .

ركبتا السّيارة و انطلقتا نحو الثانوية ، ثانوية "مونتريال" الخاصة ، لطالما حلمتا بأن تقبل أم ماري أن تسجلها فيها مع نادين ، لكن ، لم تقبل أبدا لمعرفتها الجيدة بهذه الثانوية المليئة بالفساد المخفيّ، و الآن ، لا وجود لأمها ، و إن تسائلتم كيف تسجلت و لماذا ، فبعد موت "ليان" أم ماري ، و كونها كانت مدرّسة في تلك الثانوية ، حصلت ماري على منحة من الثانوية ، تعزية لها و وفاءً لسنوات طوال قضتها ليان في التعليم فيها ... كانت ماري تنتظرهذا اليوم بفارغ الصبر ، امّا الآن ، فلا يعني لها شيئا ، فقد فقدت روحها ، فقدت السبب الوحيد الذي كان يبثّ لها الأمل و الحنان و الشغف للحياة ..

- نادين
- روحها ؟
- هل تذكرين قبل شهر ، ماذا دار بيني و بين امّي ، حين كنت تسهرين عندنا ؟ حيث بدأت تتكلم بشكل غريب عن الثانوية ، وعن سوء سوف يحدث لها ..

قبل شهر و يومين :

- نادين ، احضري صحن المكسرات معك و انت آتية !
- سبقتك !!! لقد اتيت ، هذا الصحن..
- يا بنات ، اذا حدث لي سوء ، ماذا كنتم ستفعلون ؟ هل ستفرحون ؟!

غضبت ماري و نادين من حديثها ، و بدأتا بالسخرية ، مستنكرين احتمال حدوث ايّ مكروه لها ..

- إذا حدث لي شيء ، فإيّاك يا ماري أن تتسجلي في تلك الثانوية ، انا اعرفها اكثر منك !! إيّاكِ ..
- ماما ما بك اليوم ؟؟ لا تتكلمي هكذا ، لا يمكنني العيش من دونك أنت تعرفين ! اغلقي هذا الموضوع بسرعة !
- حسنا حسنا ! تكلّمت تحسبا لا أكثر...

- نعم اذكر .. و كأنّها كانت تنبّهك ، لكن اظنّ أنّها صدفة لا أكثر ..
- صدفة؟ صدفة.. نعم .. لا أعلم ..

قالتها و هي ترتجف ، و عيونها تكاد تمطر ..

- أمك شخص طيب جدا ، و يستحيل أن تكون متورطة في شيء ..
- لا أعلم ، لكن سوف أعلم ، و لن اترك دم أمي يذهب سدا لو كلفني هذا حياتي ...

نادين !! الهاتف ، توقفيي بسرعة !!!

- ماذا بك ؟؟ ايّ هاتف ؟!
- هاتف أمي ، لا زال عند مركز المخابرات ، بسرعة ، اوصليني لكي آخذه ..
- حسنا هيّا ، كيف كنت ستتذكرينه ، طيلة الجنازة كنت في حالة سكون مريب ، لم تتكلمي و لم تبكي حتّى ، لا تلومي نفسك يا فتاة ، اعرف جيّدا أنّكِ في حال صعب ، و أنا هنا ، و سأظلّ هنا ...

"الأبواب التي تقتلنا ، نحن من نفتحها بأنفسنا ..

أخذت ماري هاتف أمّها من المركز ، و عادت الى السيارة ، و قبل أن تنطلقا ، فتحت ماري الهاتف ، لكن هنا ، بان على وجهيهنّ تعابير الصدمة والاستغراب ، هاتف فارغ جديد ، و كانّه في أوّل استعماله ..

- ما هذا ؟؟ لقد كان هاتفها مليئاً بالصور و البرامج ، و كانت تضع خلفية فيها صورتي وانا صغيرة .. ما الذي حدث ؟! انتظري ! سوف اعود الى المركز ، يمكن أنّ خطأً قد حدث .
- انتظري ماذا تفعلين ؟؟؟ اووففف ! ماري !

دخلت ماري المركز ، و توجهت نحو مكتب الضابط .. و إذ بامراة جالسة :

- أين الضابط ؟؟ اريد أن اتكلم معه !

نظرت المرأة في ماري نظرة سخرية ، ثمّ نادت بأسماء رجال من الشرطة خارج المكتب ، فدخل ثلاث رجال ورفعوا التحية :

- من هي الضابطة هنا يا رجال ؟

فأشاروا جميعا ب"أنتِ ، سيدة كارما ."

حاولت نادين تلطيف الجوّ و كسر حاجز الإحراج :

- عذرا حضرة الضابطة ، نحن...

و ما إن تلفظت ببنت شفة حتى قاطعتها ماري :

- لو سمحتِ حضرة الضابطة ، من سمح لكم بإعادة ضبط الهاتف ؟؟؟ قبل الحادثة كان طبيعيا ، فمن أعاد ضبطه ؟؟!
- أوّلا، من أنت ايتها الجميلة ؟
- لا تستفزيني ! سوف افقد اعصابي ، انا ابنة ليان ! ليان مارتن ! التي قتلت قبل ثلاثة أيام..

بمجرد أن سمعت الضابطة كارما باسم ليان ، و بأن ماري تكون ابنتها ، وقفت بسرعة ، و بلعت ريقها ..

- أنت .. أنت ابنة .. ليان ؟؟

عذرا ، تذكرت شيئا فقط ، لا تهتمّي ، اخرجوا جميعا ، هيا بسرعة !!

و بعد أن خرج الجميع ما عدى ماري و نادين ، دعت كارما الفتاتين للجلوس ، و جلست خلف المكتب ، و بدى عليها أنها تحاول أن تكون طبيعية بالرغم من التوتر الذي احتلّ أطرافها ...

- حضرة الضابطة ، ما الذي يجري ؟؟ و لما كلّ هذا التغيير المفاجئ ؟
- اهدئي أوّلا ..

اسمعي ، حين عثرنا على الهاتف الذي كان داخل مسرح الجريمة ، كان على حالته هذه التي استلمته بها ، قمنا بتفتيشه جيدا ، لكن لا وجود لأي اثر او دليل ، حتى انه بدا جديدا.. و الذي أفهمه منكِ هو أنه قبل الحادثة ، كان الهاتف بشكل آخر ؟؟

- نعم ، لقد كان مليئا ، و كان كهاتف أي أمّ لديها ابنة ؛ فصورتي كانت خلفية للهاتف .
- إذا ، يجب أن نفتح فرعا جديدا في هذا التحقيق ، الواضح أن الهاتف تم اعادة ضبطه مزامنة مع الحادثة ؛ إمّا أن أمك هي من اعادت ضبطه إذ انتحرت .. او أن هنالك شخص كان الفاعل .. سوف نعرف ، مسألة وقت فقط .
- حسنا .. عذرا على عصبيتي ، لكنني لست في رشدي هذه الفترة ..
- لا داعي للاعتذار ، اتفهمك ، سوف نحل هذا الموضوع ..

تشكرت ماري الضابطة كارما ، و خرجت مع نادين، و بمجرد خروجهما ، حملت كارما الهاتف بسرعة ، و اتّصلت ...

- ثانوية مونتريال الخاصة :

الإذاعة المدرسية : "الى جميع الطلاب الاعزاء ، الرجاء الاستماع جيدا ، الرجاء الاستماع جيدا ، الرجاء من الجميع التوجه نحو قاعة المسرح ، و شكرا ".

وصلت ماري إلى بوابة الثانوية ، فوقفت قليلا ، و نظرت الى نادين ، و بعدها ، بدأت يداها بالارتجاف ، و طلبت من نادين إعادتها الى المنزل ، لكن نادين لم تقبل ، و حاولت تهدئتها ، و نجحت في إقناعها بعدم العودة ..

- ها قد عدنا من جديد ، لم اشعر بمرور الوقت ، مضت العطلة سريعا ، اليس كذلك يا لمى ؟ لمى ! الو !
- نعم يا داران ! اسمعك ، لكنني شاردة قليلا ، نعم مضت بسرعة.. عدنا من جديد لرؤية هذه الوجوه المقرفة !
- حبيبتي العصبية ! كم انت جميلة ..
- اصمت يا داران ، لست في مزاج غزلك ...هيا أسرع لنلحق كلمة العم آيزاك ..

إجتمع جميع الطلاب في قاعة المسرح ، و انتظروا جميعا حضور المدير ، ليلقي كلمة افتتاح العام كما في أول كل سنة دراسية.. لكن و بغير العادة ، تأخر كثيرا ، الى أن مرّت ربع ساعة.. فاضطرّ تغيير المتكلّم ، و تم اختيار داران ليكون البديل ..

صعد داران المسرح ، متفاخرا و متعاليا كعادته .. فبدأ باسترجال الكلمات و العبارات ، ممازحا ، ملقيا النكات ، لم يستغرب أحد هذا ، فهذا داران ، الذي يعرفه الجميع.. و بشكل أوضح ، هو "مهرج المدرسة" كما يقولون ..

كانت ماري جالسة قرب نادين في المقاعد الخلفية ، و نظرات القرف تتمايل على وجهها :

- من هذا المتعجرف ؟

- كما وصفتيه ، هذا متعجرف المدرسة .. هاشتاق "المهرج" !!!! و هل رأيت تلك الفتاة البيضاء جدا ؟ التي تجلس هناك قرب ذلك الناظر .. هذه حبيبته ، قِدرٌ و وجد غطاءه.. نسخة منه لكن كفتاة ..
- أنا سوف أخرج من القاعة ، ما هذه التفاهات ..
- إهدأي ! لا يمكنكِ الخروج ، يجب على الجميع البقاء .

لم تهتم ماري لكلام نادين ، فوقفت و توجهت نحو باب القاعة ، فأشار داران إليها بإصبعه :

هيي ! أنتِ أيّتها الفتاة ! يبدو أنكِ جديدة هنا ، إلى أين؟

فنظرت ماري في وجه داران نظرة باردة ، و بعدها خرجت من القاعة .. لم يتوقع أحد بأن فتاة مثلها سوف تتجاهل أكثر الطلاب لا مبالاة بالقوانين ، و اقرب الطلاب إلى الإدارة .. لكن عندما يخسر الإنسان كل شيء ، لن يخاف من أيّ شيء!

بدت على وجه داران ابتسامة غضب و أكمل حديثه بسرعة ، و بمجرد انتهائه ، نزل مسرعا و غاضبا ، و خرج من القاعة..

كان في لحظة غضب ، لا يعي ماذا يفعل ، لكن لحسن حظ ماري ، كان المدير "العم آيزاك" خارج القاعة .. فصرخ في وجهه بأعلى صوته :

- داران ! تعال إلى هنا ! بسرعة !!
- نعم عم آيزاك ؟

- ما هذا الاستعراض التافه الذي رأيته قبل قليل؟؟ هكذا تكون بديلا لي؟ نحن نقدّر أن لديك مهارة الإلقاء ، و أنك ساعدتنا في كثير من الأوقات السابقة ، لكن ليس لدرجة أن تأخذ راحتك بهذا الشكل **!** تلك الحركات تقوم بها أمام اصدقائك ، و ليس على مسرح مدرستي ، فهمت ؟**!**

طأطأ داران رأسه ، و صعد مع لمى إلى الصف .. بينما كانت ماري تبحث مع نادين عن صفهما الجديد ، و بعد إيجاده ، جلستا في المقعد الثاني قرب النافذة ، و منذ دخول ماري، و داران ينظر اليها بنظرات تكاد تتكلم حقداً ..

" من يخسر كل شيء ، لن يملك العالمُ ما يهدِّده به .. "

بدأت الحصة ، و طلبت المعلمة من ماري تعريف نفسها ، كونها طالبة جديدة في الدفعة .. لكن ماري لم تردّ عليها ، و ظلّت تنظر في دفترها بشكل مريب ..

نظر الجميع فيها باستغراب ، و قال داران قاصدا إياها : "لدي سؤال صغير ، هل شعرك هذا أصبح أحمراً بسبب الغضب ؟" فضحك الجميع في الصف ، و كانت ماري على وشك فعل شيء سيّء ، لكن ، قاطعها فتح باب الصف بقوّة :

أوران :

- عذرا يا آنسة .. تأخرنا بسبب ازمة المرور ..
- حسنا هذه أول و آخر مرة ، ادخلا ..

فرحت نادين بقدوم اوران ، فتسائلت ماري عن هويّته ؛

- من هذا ؟
- هذا اوران يا غبية ! حبيبي الذي لطالما تحدثت لك عنه ..
- آها .. اهلا ..
- أهلا و سهلا بحبيبي ! اجلس خلفنا أنت و ريان ..
- و من هذا ريان ؟

فخفضت نادين صوتها لكي لا يسمع ..

- إنّه ابن المدير"آيزاك" ، و هو غريب قليلا .. اوو بيبي !! ماذا يحدث ، اظن أنه اعجبك ..

وغمزتها غمزة ساخرة .. فغضبت ماري و ضربتها بكتفها ..

أكملت المعلّمة الحصة ، لكن في منتصفها ، حدث توتر بين داران و اوران .. و لكن للأسف ، علق داران علقة كلب في الزاوية .. فأوران معروف بقوته و غضبه .. وبعدها !! قامت الدنيا وقعدت .. ركض الجميع باتّجاههما ، لمى من زاوية ، و نادين من زاوية ، لكن ، بقي شخصين فقط جالسين ، و هما ماري و ريان ..

- ممم ، إذا أنتِ أيضاً تكرهين هذه الأجواء ، سوف تعتادين ..

لم تردّ ماري عليه ، بل اكتفت بالنظر في عينيه .. فقام بإعطائها حبّة شوكولاتا من الكيس الذي يأكل منه ، لكنها رفضتها ..

- حسنا ، كما تريدين ..

فأكمل أكله وهو يبتسم ..

- هل أنتِ صديقة نادين المقرّبة ؟

- ماذا قلت ؟

أعاد ريان سؤاله ، فأشارت له برأسها ب "نعم" ..

و لكن ، لم يستسلم ، و وضع حبّة شوكولاتا على طاولتها ، فنظرت فيها ، ثمّ تظاهرت بعدم الاكتراث ..

- لماذا انتِ عنيدة هكذا ؟؟

- حلّ عني يا روان !

فضحك ريان ساخرا .

- هل قلت شيئاً مضحكاً ؟!

- لا تهتمّي ...

حمل ريان قلما ، و أخذ دفترها دون أن تنتبه ، و كتب اسمه على أوّل صفحة ، و تحته كتب ؛ " لا أعرف إن كنتِ ذكيّة ، لكن أتمنّى أن تفهمي .. "

،

" الحبّ ، هو النّفس الأخير في هذه الحياة ، إفهمها كما تشاء .. "

إنتهت الحصة و رنّ الجرس ، فعاد الجميع الى مكانه مع وصول الناظر جورجيو .. ففهمت ماري بمكانته عند الطلاب ، حيث أن مجرد دخوله الصف ، جعل الجميع في حالة خجل و احترام :

- ماذا يجري هنا ؟؟

فوقفت نادين ، حيث انّها "المتحدّثة باسم الصف" ، وأخبرته بما جرى ..

مرّ الوقت و كأنه الف عام ، و ماري صامتة طوال اليوم ، تارة تنظر خارج النافذة ، و أخرى تنظر في الطاولة ..

رنّ جرس انتهاء الدوام ، فخرجت ماري برفقة نادين و اوران ، و لأنّ ريان صديق اوران المقرب ، أتى معهم ..

مرّوا عبر دائرة الاستقبال في مدخل الثانوية .. فكانت ماري تشاهد الصور المعلقة على الحائط ، و لكن فجأة ، وقعت عينها على صورة شخص مألوف جدا لها ، فاقتربت إليها .. صورة والدها ، واقف مع مجلس الإدارة .. و في هذه اللّحظة ، شعرت بأن الأرض تنخفض من تحتها ..

نادين : ماري ؟ ماذا بكِ ؟

ماري : نادين أليس هذا أبي ؟؟ بلى ! هذا أبي .. ماذا يفعل في هذه الصورة؟؟

ريان : هل هذا أبوك ؟ ماذا ؟!

لم يلتفت أحد الى ريان ، و الى استغرابه ، بل كانوا جميعا يحاولون فهم ماذا يحصل ..

حملت ماري هاتفها ، و صوّرت اللّوحة .. و عادوا جميعهم ، كل واحد الى بيته ..إلّا ماري ، قرّرت ان تستكشف الثانوية ، فبعد رؤيتها تلك الصورة ، انتابها الفضول ..

و بعد وصولها الى الطابق الرابع ، ممرّ معتم ذو إضاءة خفيفة ، و في آخره غرفة المدير ، و من اليمين و اليسار ، غرف أعضاء مجلس الإدارة ، و غرف الأمن و الأرشيف .. مشت عدة خطوات باتّجاه المكتب ، و كانت تنظر يمينا و يسارا ، و لكن فجأة ؛ رأت لمى و داران واقفان في غرفة الكاميرات الخاصة بالأمن ، فاستدارت و التصقت بالحائط متنسّطة عليهما :

- هيا بسرعة يا داران ! قبل أن يأتي الحارس .. كل هذا كان بسببك ..
- أنت طلبتي مني هذا يا لمى !! لا وقت للجدال الآن اصمتي ! يا ربي ! النظام مقفل ، تبا لهذا الحظ !
- تبا ! أعد كل شيء كما كان ! غدا نحاول مرة ثانية ..

كانت ماري ترتجف ، و كأنها حين شعرت نفسها قريبة من قاتل أمها ، تجمدت كل أطرافها .. و نزلت الى خارج الثانوية راكضة مرتعدة .. و لكن و هي خارجة من البوابة ، رآها الناظر جورجيو من بعيد...

" خفّف السرعة ايّها الفضول ، فإنّ الطريق وعر جدّاً .. "

عادت ماري الى المنزل ، أغلقت الباب و رمت نفسها على الأرض منهارة ، مجهشة بالبكاء ، و كأنها خرجت من الصدمة ، و أخرجت كل ما فيها من الألم ، ترتدي قناع الغضب و البرود أمام الناس ، و تحته نار تاكل وجهها ..

أتى كوكي و وقف على كتفها ، وبدأ بمواساتها بمنقاره الصغير ، و لكن فجأة ، سمعت صوت طرق على الباب خلفها ..

مسحت دموعها ، و فتحت الباب ، لكن لا وجود لأي شخص .. فقط صندوق ورقيّ صغير ، شعرت ماري بشيء غير طبيعي ، حملته ، دخلت إلى المنزل ، و وضعته على الطاولة مستكشفة اياه قبل فتحه ، و بعدها ، فتحته فوجدت بداخله رسالة ورقية ، مكتوب فيها كلمة سرّ ، و عبارة : إذهبي إلى الثانوية، و ابحثي عن ملف "مونتريال-الطريق 43" داخل نظام المراقبة .. بعد هذا الفجر ، لن تجدي هذا الملف ابداً .. "

وقفت ماري مستغربة ، تنظر تارة في الرسالة ، و تارة في كوكي .. و ظلّت ساعة تفكر ، و تحاول أن تفعل الصواب ..

في النهاية ، قررت أن تذهب فورا .. ارتدت ثيابا سوداء ، حملت محفظتها ، و اتّصلت بنادين ، طالبة منها أن توصلها الى الثانوية ..

وصلت نادين بسيارتها ، حيث كانت ماري تنتظرها :

- اصعدي هيا ، ماذا سوف تفعلين في هذا الوقت داخل الثانوية ؟!
- انظري هذه الرسالة ..

نظرت نادين في الرسالة ، و صرخت في وجه ماري ؛

- ماذا ؟! لن اسمح لكِ بالذّهاب !
- و ما شأنك يا نادين ؟؟
- هذا خطر جدا .. انزلي من السيارة ! لن نذهب ..

نزلت ماري من السيارة ، و بدأت بالبكاء ، و بعدها ركضت و اوقفت سيارة اجرة عند اول الشارع ..

عند وصولها ، رأت حارسا يقف عند بوابة الثانوية ، فاحتارت ماذا تفعل ، و ظلّت منتظرة ، وعندما ذهب الحارس الى الجهة المقابلة ، ركضت بسرعة الى داخل الثانوية ، لكن قبل وصولها الى دائرة الاستقبال ، خرج المدير آيزاك مع حارس ، و كانا يتحادثان ، و لحسن حظّها ، استطاعت الاختباء داخل الزراريع دون أن يلاحظها أيّ منهما ..

و بعد أن اصبح الوسط هادئا ، دخلت الى الثانوية ، و صعدت إلى الغرفة حيث كان داران و لمى ..

لكن فجأة ، سمعت صوت أقدام شخص قادم ، فاصفرّ وجهها ، و اختبئت تحت الطاولة ..

سمعت صوت شخص يكتب في لوحة مفاتيح الحاسوب ، نظرت إليه ، فلم تستطع رؤية شيء منه سوى حذائه الجلديّ الأسود ، و ثيابه السوداء ، و يده اليمنى ، التي كان يحمل فيها مفاتيح كثيرة ، و فوقها حلقة مفاتيح "porte-clés" خضراء ، مكتوب فيها عدة أرقام ..

الساعة الحادية عشر ليلا (في نفس الوقت) ..

صوت دراجة نارية قوي يهز البيت .. ينزل منها شاب اشقر وسيم ، ذو شعر كثيف مموج ، يرتدي كعادته معطفا جلديا .. و من خلفه شابة بيضاء ناصعة البشرة ، بشعر أسود ناعم يصل الى رقبتها ، و سلسال اسود يحيط بعنقها، كذلك ثيابها ، سوداء كسواد تلك الليلة المعتمة ..

- "سيدرا" ليست هنا كما اتّفقنا ؟
- لا ، و هذه المرة العاشرة التي أقسم لك فيها أنها خارج المنزل ! هيا يا لمى اغلقي البوابة خلفي .
- ماذا عن "ياسمينة" ؟ نائمة ؟
- ماذا بكِ اليوم تكثرين من الأسئلة ؟! داران اين ؟؟! داران كيف ؟!! داران هل ؟!! كفى !
- حسنا استاذ داران ! كما تريد .

دخلا المنزل ، و هذه أول مرة تدخل فيها لمى منزل داران ، لأنّها لا تطيق أخته سيدرا ، و لكن في هذه الليلة ، كانت سيدرا خارج المنزل .. فوافقت لمى على القدوم لكي يسهرا سويّاً ..

فتح داران الباب ، فنظر في الأرض أمامه ، و إذ بقطرات دمٍ موزّعة ، تبدأ عند قدميه ، و تتصاعد على الدرج ..

بلع داران ريقه ، نظر حوله ، ثم أشار الى لمى التي كانت تقف خلفه منتظرة أن يدخل ..

- اللعنة ! ما هذا ؟ ياسمينة !! اينكِ ؟
- لا لا توقف ، أحضر سكينا بسرعة ، أو أي شيء قبل أن تصعد ..

فأحضر داران سكينا ، و صعد إلى الطابق الثاني بحذر ، و خلفه كانت تمشي لمى مرعوبة ..



انتبه داران بأن قطرات الدم تنتهي في غرفة ياسمينة .. ففتح الباب ..

وجد أخته مطعونة في بطنها .. واقعة على الأرض ، و تحتها مستنقع دم تسبح فيه .. و على يمينها ورقة ..

نظر داران في أخته ، و قلبه كاد يخرج من مكانه ، ركض في اتّجاهها ، تفقدّ نبضها ، لكن ، لا نبض ..

" ياسمينة ؟!! لمى اتّصلي بالإسعاف !!! بسرعة !!! "

فاتّصلت لمى بالإسعاف ، و حملت الورقة و قرأتها أمامه ؛

" إيّاك و البحث عن الحقيقة ! هذا آخر تحذير .. "

ثانوية مونتريال الخاصة :

قبل خروج ذلك الشخص من الغرفة بلحظات ، اصطدمت يد ماري بكعب الطاولة .. وقف ذلك الشخص ، و نظر الى مصدر الصوت بشكل حذر ، و كانت ماري ترتجف رعبا و خوفا من أن تُكشف ، لكن ، بعد لحظات خرج من الغرفة ..

انتظرت ماري قليلا ، و بعدها خرجت من تحت الطاولة ، و فتحت الحاسوب بسرعة ، ثم وضعت كلمة السر ؛ "كلمة السر غير صحيحة" ..

بدأ قلب ماري يدق سريعا ، و يديها ترتجفان ، وضعتها مجددا ؛ "كلمة السر صحيحة" ...

دخلت الى الملف المذكور في الرسالة ، و فتحت الملف ، وإذ بفيديو لكاميرا أمام منزلهم ، و بمجرد ان شغّلت الفيديو ...

الفصل الثاني

-إلى أين؟-

مونتريال - منزل المدير" آيزاك "

- ريان ، لماذا لم تأكل منذ الصباح ؟! هل تريد أن أحضّر لك شيء ؟

- لست في مزاج الأكل يا يارا .

- رورو لو سمحت ! سوف تصاب بنوبة الربو من شدة الجوع !

- ما علاقة الربو بالجوع ؟

- لا تسخر ! على الأقل أفكر في صحتك وأخاف عليك .

"مكالمة واردة - اوران" ؛

- الو اوران ، هل تمّ الأمر ؟

- الو برو ، لا ، لم استطع ان أجدها .

- حسنا اراك غدا ..

وقف ريان ، و حمل معطفه مستعدا للخروج ؛

- إلى أين تذهب في هذا الوقت ؟

- من الأخ الكبير هنا ليسأل هذا السؤال ؟ لا شيء ، هيا نامي كي تستيقظي باكرا ، لديك مدرسة .

خرج ريان من المنزل بسيارة أبيه متوجها نحو منزل ماري .. و في الوقت نفسه ، كان خبر قتل ياسمينة قد انتشر في جميع الأخبار ..

منزل أب نادين " كايل " :

منزل مغبّر ، و يبدو عليه الإهمال ، حيث أنه لم يتم تنظيفه منذ أكثر من أسبوع .

فتحت نادين الباب و دخلت ، و نادت " أبي ، اينك ؟" فلم يجبها أحد ، أسرعت نحو غرفة المعيشة ، فوجدت والدها نائما على الأرض ، و الفوضى حوله تعمّ المكان و كأنه في خمّ دجاج ؛

- أبي ما هذه الحالة ؟؟ قم و غسّل وجهك ، أريد أن أتكلم معك .
- ماذا تريدين ؟ لا اريد القيام ، قولي ماذا تريدين ؟
- أبي .. ألم يردّ إليك بخبر؟ ما حال أمي ؟ متى ستعود ؟؟
- لا أعلم يا نادين لا أعلم ، لا يردّ عليّ ، لكنّه أرسل لي اليوم صورة لها من مكانها ..

أرسل كايل الصورة لابنته ، و في الصورة ، تجلس أمّها " ليلى" على كرسيّ في مستودع قديم ، مقيّدة الأطراف ، حيث تمّ خطفها منذ أيام ، و هوية الخاطف مجهولة ..

- أبي ، ماذا نفعل ؟ ارجوك تصرّف ، لا نستطيع أن نترك أمي هكذا !
- و ماذا عساي أن أفعل يا صغيرتي ؟ لا يمكننا إبلاغ الشرطة ، لأنه سوف يقتل أمّك فوراً ، يجب أن ننتظر .

- لكن هذا سوف يتيح له الفرصة لكي يستغلنا عبر أمي ، و ربما يقتلها في النهاية **!** أبي أرجوك لا أستطيع التحمّل اكثر،لا استطيع **!**
أبي .. كل شيء حدث .. أبي قلبي يؤلمني أريد أمي **!**

وقف كايل غاضباً ، و صرخ في وجهها بأن تتحمل و تنسى كل شيء إلى أن يردّ الخاطف له خبراً ، حمل معطفه وخرج ، فجلست على الأرض مجهشة بالبكاء ..

ثانوية مونتريال الخاصة :

بعد أن فتحت ماري الفيديو ، رأت مقطعاً مصوّرا عبر كاميرا المراقبة أمام منزلهم ، كان كل شيء طبيعياً ، لكن فجأة ، يظهر شخصان يرتديان الأسود بالكامل ، كانا يمشيان في الشارع متجهين نحو منزل ماري ، و بعدها طرقا على الباب ، ففتحت لهم ليان الباب ، و دار بينهم حديث قصير ، لكن في النهاية دخلا ..

كانت ماري تشاهد الفيديو بكامل تركيزها ويديها ترتعد من الخوف ، لكن فجأة ، شخص خلفها أصدر صوت نَحنَحَةٍ (أصدر صوت "إحم") لافتاً انتباهها ، وما إن سمعت صوته حتى قلبت الطاولة على بعضها من الخوف ، أغلقت الحاسوب بسرعة و التفتت ، و إذ بالمدير آيزاك يقف عند الباب وينظر في وجهها نظرة استغراب مع ابتسامة ، و من الناحية المقابلة ، ماري أصبحت حمراء فوق حمارها ، ودمعت عيناها من التوتر ، و قالت بصوت يكاد يسمع " استاذ آيزاك ؟ "

- ماذا تفعلين هنا ؟

- أنا .. كنت ..

- هل تبحثين عن شيء يخصّ وفاة أمّك ؟

- نعم .. كيف علمت ؟

- توقعت تصرفاتك ، بالمناسبة ، تعازي لك ..

- شكرا لك .

- لا أعلم ماذا خطر في بالك ، لكن .. ماري ، ليس في ثانويتنا شيء متعلق بأمّك ، اريد أن اختصر عليكِ فقط ..

- لماذا أبي موجودٌ في صورة مع إدارة الثانوية ؟

إصفرّ وجه آيزاك ، و نظر إلى الأرض ، بعدها في وجهها ؛

- كان يعمل لفترة صغيرة معنا ، لا أكثر ..

إعتذرت ماري منه ، وخرجت بسرعة دون إصدار صوت ، و بمجرد أن خرجت ، حمل هاتفه غاضباً ، واتّصل ؛

- هل لك علاقة بالشّيء اللّعين الذي حصل ؟!!

- ماذا تقصد ؟ ماذا بك ؟

- جورجيو !! لا تمثّل دور الغبيّ ! هل أنت اخبرت ماري بأن تشاهد تسجيلات الكاميرا ؟!

- آيزاك أي تسجيلات ؟! لم أفهم شيء !

- اسمع يا جورجيو ! إذا لم تعترف الآن ، لن تسمع صوت ابنتك مرة أخرى !

- ارجوك توقف !! أقسم لك لم أفهم شيء ، أي تسجيلات ؟

- إذا شعرت فقط بأنك تحاول الانتقام مني سوف أندّمك كثيرا .. كثيرا !

أغلق جورجيو الخطَّ مصاباً بنوبة هلع هزّت أركانه ، فبسرعة ، أخذ هاتفه و اتّصل ..

عادت ماري إلى منزلها ، وفي رأسها عشّ نحل ؛ من الذي أرسل الرسالة و لماذا ؟

كثير من الأسئلة التي لا تتوقف ..

لم يمرّ النوم ثانية على عينيّ ماري منذ ثلاثة أيام ، وبعد هذا اليوم المتعب ، وضعت رأسها على المخدّة و نامت بلمح البصر ، تاركة خلفها ثقل ذلك الألم ..

" السّمّ ؟ لم يكن بشعاً ، كان لذيذاً ، لذيذاً جدّاً ... "

" يتساءل الإنسان ما مدى قدرته على التّحمّل ، كم من الوقت سوف يحتاج كي ينفجر في النّهاية ، علماً أنّ كلّ شخص لديه قدرته على التّحمّل ، لكن ، بسؤالنا هذا ، نحن نبتعد عن جوهر الإجابة ، فالسّؤال الصحيح هو ليس كم يحتاج من الوقت .. بل هل يجب تأجيل هذا الانفجار، أم الاستعجال به ..."

٨ - ٣ - ٢٠٢٧

استيقظت ماري على صوت طرق الباب ، فقامت عن السرّير بثقل ، وتوجّهت نحو الباب و هي تتأرجح ، فتحت الباب ، وإذ بنادين ؛

- صباح الخير ..
- لا تزال الساعة السابعة صبحاً ، أدخلي ..

شعرت ماري بشيء غريب في نادين ، و كأنها على غير طبيعتها ؛ متعبة و باردة .. سألتها عن حالها ، لم تحتمل نادين ، وبدأت الدموع تنهمر من عينيها كرصاصٍ مذاب ، وأخبرتها بكلّ شيء .. حيث أنّه منذ عدّة أيّامٍ ، خطف شخص مجهول أمّها ، والمشكلة ، هو بأنّ أيّ بلاغ منهم ، لن يبقيَ أمّها على قيد الحياة ...

ثانوية مونتريال الخاصة :

- كيف حالك يا برو ؟

- بخير يا أوران ، لقد ذهبت ليلة الأمس إلى منزلها .

- أتمزح ؟! حقّاً مجنون ! ماذا لو عرف والدك ؟؟ سوف ينهي أمرنا جميعاً ..

- إنّه المدير آيزاك ، ليس غريباً .. لكن لا تخف ، كنت متخفّياً .

- ألم تعرف ماذا جرى في الليلة الماضية ؟

- ماذا ؟

- ولماذا تستعمل مواقع التواصل الاجتماعي؟! ماتت ياسمينة .. أخت داران ، أو بشكل أدقّ ، تم قتلها .. أوّل مرّة أشعر بشعور إيجابيّ اتّجاهه ..

لم يظهر ريان ايّ تعابير صدمة ، لكنه كان يشعر بأن الذي جرى ، له علاقة بما حدث مع الآنسة ليان ..

قبل يوم - منزل آيزاك ويسترن

كان ريان مارّاً من ممرّ المنزل ، حيث سمع صوت والده يتحدّث مع شخص على الهاتف ؛

"أنا من سأتولّى الموضوع ، يجب أن يحدث هذا في أسرع وقت ، سوف أذهب الآن .. "

" في حين أنّك تتجاهل أشياء لا تودّ رؤيتها ، لن تستطيع تجاهل تلك التي تراها حين تغلق عينيك .. "

وصلتا ماري و نادين الى الثانوية ، و لاحظتا بحالة استنفار داخلها ، حيث كان الجميع يتحدث عن داران و مقتل أخته ..

بدأت الحصّة بحديث المعلمة عن مأساة موت ياسمينة ، و بعد أن بدأت بشرح الدرس ، فتحت ماري دفترها ، و إذ بعبارة عند أول صفحة ؛

" لا أعرف إن كنتِ ذكيّة ، لكن أتمنّى أن تفهمي - ريان - "

راحت ماري تسترجع الذكريات ، ونظرت في ريان بطرف عينها ، حيث كان شارداً ، وتبدو على ملامحه أمارات التعب .. و بعد انتهاء الحصص ما قبل الفرصة ، نزل الجميع إلى الملعب ، فكانت ماري تبحث عن ريان وسط الزحمة ، عندها لاحظت نادين بأن ماري تبحث عن شيء، فبادرت بالسؤال :

- رورو ؟ على من تبحثين ؟

فأرتها الورقة التي كانت في دفترها ، و قالت بأنها تريد أن تتكلم معه ..

بعد بحث وقعت عينيها عليه جالسا عند شجرة داخل غابة الثانوية ، فتوجّهت نحوه ، ولكن قبل أن تصل ، اصطدمت بطالبة و أوقعت أغراضها ، و كان معها مجموعة من الشباب و الفتيات، و بعد أن احتدم الجدال بينهما ، اقترب أحد الشباب من ماري محاولا ضربها و أذيتها ، فوقعت على الأرض ، و ما إن رأى ريان ما حدث ، حتّى ركض باتّجاههم و ضربه ضربة أوقعته أرضاً ؛

- إذا رأيت أحدكم يؤذي شعرة منها مرّة أخرى سوف يلقى منّي شرّاً ..

ذهبوا جميعا غاضبين ، و بعدها وقفت ماري ، لا تعرف هل تغضب عليه أم تشكره ، و لكن ، عندما وقعت على الأرض ، وقعت الورقة منها ، فرآها ريان ؛

- أها .. إذاً لهذا كنت راكضةً باتّجاهي ..

- ماذا كنت تقصد بالرسالة ؟

- ذلك اليوم ، ناديتني روان ، أنا ريان .. (فابتسم و ضحك)

- كلّ هذا لأنني ناديتك روان ؟! أو أنّك تتشوق لكي تكلّمني ؟..

- أردت أن أمزح فقط ، ولكن يبدو أن الوردة الحمراء لا تحبّ المزاح .

- وردة حمراء ؟! إيّاك ! فقط إيّاك أن تعيدها!! ..

امتلأت عينا ماري بالدّموع ، و كانت على وشك البكاء ، فبدى على وجه ريان الخجل ، وخاف أن يكون قد قال شيئاً خاطئاً ؛

- ماري ؟ هل قلت شيئاً أزعجك ؟

حملت ماري محفظتها عن الأرض ، و أرادت الرحيل ، لكنه أمسك بيدها ؛

- ماري .. أرجوكِ ، أخبريني ما سبب انزعاجك ؟؟

- كانت أمّي دائماً ما تناديني بهذا الاسم ..

- الوردة الحمراء ؟؟ لم أكن أعلم .. عذراً ..

عادت ماري إلى الصفّ ، حيث كانت نادين بانتظارها ؛

- أنا عدت ..

- كيف كانت المواعدة ؟

- نادين أرجوكِ أغلقي فمك **!** أيّ مواعدة و أيّ بطّيخ ؟ و أيضا ، كنت أريد أن أسألك عن شيء و لكن ذلك الغبيّ شوّشني ؛ أنت لستِ مضطرّة لحضور الدوام .. لماذا أنت هنا بالرّغم من المشكلة التي تواجهك .. هل من أجلي ؟؟

وضعت نادين يدها خلف رقبتها بتوتّر ، و أجابت ب "نعم" ..

- نادين؟ هل ذلك اللّعين الذي خطف أمّك يهدّدك ؟؟**!**

- طبعاً لا **!** لكنّني هنا من أجلك ..

"عندما تبدأ الدّوامة ، لا داعي للاستعداد.."

انتهى الدوام ، وخرج الجميع إلى ساحة الثانوية ، حيث كانت الغيوم السوداء تغطي سماء مونتريال الباردة ، وقف ريان أمام ماري أثناء خروجها ، وكان ساكتاً ، لا يعرف كيف يبدأ الحديث ...

- ريان ؟

- أنا .. أردت أن .. هل يمكنني أن أطلب منك طلبا ؟

- تفضّل ؟..

- أريد أن اتحدّث معك بخصوص شيء ..

كان ريان على وشك أن يتكلّم ، لكن أتت نادين وبرفقتها اوران ، سألت ماري عن إذا كان بإمكانها استقبالهما في منزلها للدراسة ، و في نفس الوقت يُخرجون ماري من حالتها هذه ، فوافقت ماري ..

- ريان : حسنا ، نتكلم لاحقاً ..

- ماري : لا لا ، ماذا كنت تريد أن تقول ؟

تدخّلت نادين ، وأجبرت ريان على القدوم معهم ، فوافق بصعوبة ، لكن هذا كان يصبّ في مصلحته ..

وصلوا إلى المنزل ، فدخل أوران و نادين ، أما ريان فطلب من ماري التكلّم في الحديقة ؛

- ها نحن ذا ، كما طلبت ، أسمعك ..

- لا أعرف كيف أبدأ ، ولكن .. أنا أعرفك منذ يومين فقط ، و لكن ، أعرف عنك أكثر ممّا تعرفين ..

- ماذا تقصد ؟

- أنا أريد مساعدتكِ في إيجاد قاتل أمّك .. و قبل أن ترفضي .. أنا لديّ الكثير من المعلومات التي قد تفيدك ..

- لحظة لحظة .. كيف تعرفني ، وما علاقتك بقتل أمّي ؟؟

- تمهّلي ، ليس هكذا ! إسمعي إنّها قصّة معقّدة .. جدّا !! ماري قبل أن أتكلّم ، تعهّدي لي بأنّك لن تسألي أسئلة لا داعي لها ..

- تكلّم ..

- أبي .. علاقتي معه .. ليست جيّدة (كان يتكلّم و نظراته ترتجف يمينا ويساراً ، ويشدّ على يده بيده)

إنّها قصّة طويلة .. الذي أعرفه ، هو شيء عن أبيكِ ..

- أبي ؟؟ و ماذا تعرف عنه ؟

- أريد أن تبقي متماسكة .. أرجوكِ ..

- ريان لقد توقّف قلبي ! تكلّم ..

- ماري ، أبوكِ .. ماتَ مقتولاً ، ولأبي علاقة ..

وقعت ماري على ريان ، وكانت ترتجف و تجهش بصوت بكاء قويّ ، و كأنها أصيبت بنوبة هلع ..

فأتى نادين و اوران من الداخل مسرعين ؛

- نادين : ماذا بكِ ؟؟ ماذا قال لك هذا ؟؟!

- ريان : أحضروا عطرا من الداخل بسرعة !!! ماري ردّي عليّ !!

- نادين : ماذا فعلت لها ؟!! ماذا قلت ؟!!

...

الفصل الثالث

- روح جديدة -

منزل آدار ويسترن - أب لمى -

دخلت لمى إلى المنزل ، حيث كانت تسمع صوت جدال أمها و أبيها ؛

- كل هذا الوقت ؟؟ كل هذا الوقت يا كارما !! لقد كنتِ تنظرين في وجهي، كارما لقد كنتِ زوجتي في حين أنك على علاقة مع صديقي !

- آدار .. أستطيع تبرير هذا إفهمني ..

- ماذا كنت ستبررين ؟؟ لقد كان جورجيو صديقي يا كارما ، لقد كنتما تنظران في وجهي و أنتم ..

أراد آدار الخروج من المنزل ، إلّا أنّ لمى أوقفته ؛

- أبي ؟؟ توقف ! هل ما سمعته صحيح ؟؟

- نعم صحيح ، لم أودّ يوماً أن تسمعي مثل هذا الكلام يا لمى ..

و خرج من المنزل.. فوقفت لمى مصدومة ، تنظر في أمها نظرة خيبة واشمئزاز.. ولم تحتمل البقاء فذهبت إلى منزل داران ..

" حتّى من دَرَسَ القانون ، يتعدّاه .. "

منزل ماري :

بعد أن استعادت ماري وعيها قليلا ، كانت تنظر تارة في الجدار ، و أخرى في وجه ريان ، غير مستوعبة .. حتّى قالت بصوت مرتجف ؛ " أخبرني كلّ شيء .." و كانت مصرّة بأن يتكلم أمام اوران و نادين .. فلم يتبقى له حلّ آخر :

- ريان : أبي متورط بالكثير من الأشياء ، حيث أنني لم أعد اتفاجئ من أيّ مصيبة يسبّبها ، لكن ، منذ صغري ، و هذه القصة تظل تدور كل فترة على لسانه كلّ فترة ؛ " جو " ، أبوكِ ، الذي أعلمه ، هو أنّ أبي كان متورطا بقصة قتل شخص يدعى جو، حيث كان شريكه و صديقه ، و لكن قتله ، و الآن أعلم بأنه أبوكِ ... و بعد هذه الفترة كلها ، لاحظت بأنه كان يتحدث عن الآنسة ليان ، أمّكِ ، و عن أنها سوف تكشف كل شيء ، و لكن لم أستطع اللّحاق بها ، لا أعلم ، يصعب عليّ إخبارك بهذا يا ماري لكن ، فقط أريد مساعدتك ..

- نادين : ما هذا التخريف ؟؟ كل هذا كذب ! أنت تريد إيذاء ماري و هذا لن يحدث يا ريان ..

- ريان : لا أريد إيذاء أحد ، أنا أريد مساعدة ماري ، ولديّ أسبابي الشخصية .

كانت ماري ترتجف ، و تنظر في ريان نظرة غريبة ، فعندما سكت الجميع، نظروا إليها ، و إذ بها تمسك بشعرها ، تضرب نفسها ، بعدها قامت عن السرير وهي تكسّر كلّ ما تراه أمامها ، حاولت نادين تهدئتها ، لكنها فقدت كل السيطرة ، وبدأت تتصارع مع الصدمة بعد كلّ هذا الكتمان. أمسك ريان بها ، وصرخ في وجه نادين بأن تتصل بالاسعاف ..

كان ريان ملازماً ماري في سيارة الاسعاف ، و خلفهم نادين و اوران بسيارتها ، و بعد وصولهم و إدخال ماري ، مرّت ساعة ، خلالها كانت ماري تتلفظ بأشياء غير مفهومة ..

بعد أن تحسّن حال ماري ، نادت نادين إلى الجميع ، وأشارت لهم إلى شيء كانت تحمله في يدها .. ساعة ، و لكن ، هي ساعة لمى ، حيث وجدتها عند ممر منزل ماري .. و ربما الآن ، أصبح كلّ شيء واضحاً .. و لكن لماذا ؟ ...

- نادين : أنا برأيي ، يجب أن نذهب فورا و نسلمها للشرطة ، أصبح كل شيء أمامنا ..

- اوران : لا يا نادين ، لن نتهور ، يجب أن نستدرجهما ، أي أقصد لمى و داران، و بعدها نمسك عليهم دليلا أكبر ..

وافقوا جميعا على خطّة اوران ، إلّا نادين ، حيث كانت غير مرتاحة ..

- ريان : انا ذاهب قليلا ، و سوف أعود ، لا تتعبي نفسك يا ماري ، هيا سوف أعود ..

- اوران : برو إلى أين ! أوفٍّ منك !

منزل جورجيو - الناظر العام - :

وصلت سيارة أجرة إلى باب المنزل ، و منها نزل ريان ، وبعد رؤية الحارس له ، فتح الباب بسرعة و رحّب به ، كونه ابن آيزاك .. طرق ريان الباب الأساسي ، ففتح له جورجيو، و كان في حالة لا يرثى لها من القلق.. لم يدخل ريان إلى داخل المنزل ، بل طرح سؤاله بسرعة ؛

- أنت من ساعدت الآنسة ليان ؟

- اهلا بك أنا بخير و أنت ؟

- جاوبني ..

- نعم ريان نعم ، و كيف عرفت ؟؟

- الأمر بسيط ، الأنت الوحيد الذي كان يعرف بحادثة جو ، وكان معارضا لفعل أبي ، و لكن ، عذرا على هذا التعليق ؛ إنّ محاولتك مساعدة الآنسة ليان كانت بطريقة غبية جدّا ، و بسرعة كشفك أبي .. أمّا من قتلها ، فلازلت أبحث ، و أقول لك ، نصيحة ، إذا كنت تعرف شيئاً يمكنه مساعدتي ، فلتخبرني به الآن ..

- دائما ما كنت اتسائل عن مصدر ذكائك هذا منذ صغرك .. اسمعني ، الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أقوله لك ، أبوك هذا ، قذر .. قذر جدّا ..

فابتسم ريان ابتسامة ساخرة ، و قال له و هو يخرج ؛

- شكرا لك ، لم أكن أعلم هذا .. معلومة فريدة !!

مستودع سميث - المستودع الخاص ب "كايل" أب نادين :

داخل المستودع ، ليلى .. أم نادين .. جالسة تنتظر زوجها .. و بعد بضع دقائق ، وصل ..

- ماذا فعلت بابنتي يا كايل ؟؟

- كفّي عن العويل ، ليس من شأنك ..

- يا ليتني متّ و لم أتزوّج كلبـ ـاً مثلك **!**

ضربها كايل ، و أوقعها أرضاً ..

- سوف تكملين بهذه التمثيلية ، لا خيار لكِ ، و إلّا سوف تندمين يا ليلى ..

- لا تؤذي نادين يا كايل، أقتلني و لكن لا تؤذيها .

خرج كايل تاركاً خلفه ليلى تتحسّر على حالها .. و تترجاه بأن لا يؤذي ابنتها ..

عاد ريان إلى المشفى ، ومعه كيس مشتريات ، فلم يجد احداً ، حيث ذهبا ليحضرا لماري الطعام .

جلس ريان على كرسي قرب ماري ، و شرد في وجهها ، ذلك البارد الذي لا يثق بأحد في هذه الحياة ، يشعر بأنّ أعيناً بريئة بدأت توقعه في شباك سحرها .. بينما كان شاردا في وجهها، فتحت عينيها و تفاجئت به ؛

- ماذا تفعل فوق رأسي هكذا ؟ لقد أرعبتني !

شعر ريان بالإحراج ، و ليغيّر الموضوع ، أعطاها كيس المشتريات :

- ما هذا ؟

- قليل من المشتريات ، لا زلتي دون طعام .

إبتسمت ماري ابتسامة خفيفة ، وشكرته ، لكن ، كانت ماري لا تزال في حالة صدمة ، بعد كل شيء سمعته ، فبدأت بسؤاله ؛

- شكرا لكَ .. ريان .. كيف يمكنني الوثوق بك و بكلامك الذي قلته ؟

- ماري أنا ليس لي مصلحة في ما قلته ، سوى في شيئين ، الأول ، هو أنني اريد مساعدتك ، و الثاني ، هو أنني اريد أن .. أنتقم .. من أبي .. أرجوك لا تسألي ، فقط إفهميني ..

- حسنا فهمت ، و لكن تعهد لي بأن لا تخفي عنّي أيّ شيء تعرفه عن قضية أمي ..

- أعاهدك ، أيّتها الوردة الحمراء ..

- آخر مرّة قلتها ، كنت سوف أموت ، و لكن الآن أسمح لك .. ريان ، لا أدري .. أعرفك منذ يومين ، و لكن ، معك أكون بعيدة عن همومي بالرّغم من الحديث عنها ..

ابتسم ريان ، و نظر في الأرض ، بعدها قام وخرج لدقيقة، وعاد بيده وردة حمراء ، فوضعها على أذن ماري ، و ذهب ..

" الأفعال تثبت دائما بأن الكلام سهل جدّاً .. "

٩ ـ ٣ ـ ٢٠٢٧

منزل ماري :

لأوّل مرّة ، منذ عدّة أيّام ، صوت منبه هاتفها يملئ أركان المنزل ؛

تقوم نادين مبعثرة الملامح ، ناسية غالب أحداث اليوم السابق ، تنظر في الساعة ، فتدرك بأنها تأخرّت كثيرا ..

قامت بسرعة ، و ذهبت إلى المطبخ مناديةً : **"ماما ! لقد تأخرت " ..**

و لكن ، سرعان ما انتبهت ، فوقفت مكان مقتل أمها في المطبخ ، نظرت في الطاولة التي كانت ترى عليها كوب القهوة كلّ صباح ، وفي المطبخ الفارغ من الأعمال المنزلية .. و للمرة الألف .. تدرك ماري بأن أمّها لم تعد موجودة ، جلست على الكرسي ، والدموع تسيل على خدّيها ، بعدها اتّصلت بنادين لتأتي ، لكنها لم تجب على غير عادتها ...

لبست ماري ثيابها ، واستقلّت سيٌارة أجرة ، وطيلة الطريق ، كانت تحاول الوصول إلى نادين ، لكن لا أثر لها أبداً ...

ثانوية مونتريال الخاصة :

وصلت ماري إلى الثانوية عند بداية الدوام ، فدخلت مسرعة ، ولكن .. نادين مختفية ..

سألت أوران ، ولكنه قال عين الكلام ..

بدأ القلق يسيطر على ماري ، وراحت تفكّر بموضوع خاطف أمّها ، و لكنها انتظرت ..

وصل داران و لمى ، فجلسا جنب ماري ، حيث كانت تتوقّد ناراً ، فعلى الأغلب ، قاتلو أمّها جالسون قربها الآن ، و لكن ، نظرت ماري في داران ، و عزّته بمقتل أخته ، لكنه هزّ برأسه دون أن يتكلم ..

دخل ريان إلى الصّفّ ، وبعدها جلس على نفس الطاولة مع ماري ، و سألها عن نادين ، فأخبرته باختفائها .. لكن أثناء كلامهما ، تدخل نادين الصفّ ، مبعثرة الشعر، و كانت في حالة محرجة ، فكان الجميع في حالة استغراب ، قام اوران و ماري ، و ساعدوها ؛

- ما هذه الحالة يا نادين ؟!

- ليس الوقت المناسب لأخبرك يا ماري ..

- تكلّمي بسرعة ! ..

- أبي .. لقد ضربني ..

- هاا ؟؟؟؟ وما السّبب ؟؟ حالتك هذه ليس لها مبرّر !!

أخذت ماري الإذن من المعلمة لتخرجا من الصفّ ، و بعد خروجهما ، طلبت ماري من نادين إخبارها بكلّ شيء ، فأخبرتها بأنه كان فاقداً أعصابه بسبب خطف امها ، فضربها .. كانت ماري معترضة على ما يجري ، لكن نادين أصرّت عليها أن تنسى .

عادتا إلى الصّفّ ، و بعد دوام طويل ، رنّ جرس الانصراف ، فخرج الجميع ، وقرّرت ماري بأنّ نادين سوف تظلّ عندها ..

بعد عشرة أيًام .

منزل ماري :

كانت ماري جالسة على السرير ، تحمل هاتفها ، وإذ برسالة من رقم مجهول ؛ فتحت ماري الرسالة ، فكانت عبارة عن مقطع فيديو ، فتحت المقطع ، وإذ بنفس ذلك الفيديو ، الذي كان على حاسوب أمن الثانوية ، و لكن هذه المرّة ، كان الفيديو كاملاً ..

فيديو مصوّر من كاميرا الشارع الأساسي بوجه منزل ماري في نفس ليلة قتل ليان ، مرّت دقيقة ، و فجأة ، ظهر نفس الشخصين ، وطرقا على الباب ، و دخلا بعد أن فتحت لهم ليان .. لكن ، هذه المرّة ، مرّت ربع ساعة ، و بعدها خرجا بحذر ، ولكن ، بعد خروجهما ، الشخص الذي أرسل الفيديو كبّر الصورة ..

لمى و داران ...

وقفت ماري ، و بدأت ترتجف ، اتّصلت بنادين بسرعة ، و بعد بضع دقائق ، وصلت نادين ودخلت إلى المنزل ، و احتضنت ماري ؛

- رورو ماذا بكِ ؟! أخبريني!!

أشارت ماري و هي تبكي إلى الهاتف حيث كان الفيديو ، و بعد أن رأت نادين وجه لمى و داران ، أمرت ماري بارتداء معطفها للذهاب إلى المخفر ..

كانت ماري معترضة ، ولكن أصرت نادين ، فذهبا سويّاً لإعطاء الدليل إلى الشرطة ، كما قرّرت نادين بأن تعطي الشرطة تلك الساعة التي وجدتها في المنزل ، و التي كانت ترتديها لمى دائماً ..

الآن ، ماري ذاهبة ، و هي تعلم بأن كل شيء انتهى ..

الآن ، من كان سببا في انتزاع روحها ، سوف يلقى عقابه ..

حقّاً ، كم هو غريب هذا الإنسان .. عندما يصل إلى الجواب ، يتجدد السؤال في رأسه .."

تحت سماء مونتريال الباردة ، وصلتا إلى المخفر ، و بعد دخولهما ، دار بينهما و بين الضابطة كارما جدال ؛ و بعدها وضعت نادين الهاتف أمامها لتشاهد الفيديو .. بعد أن رأت ابنتها ، أصبح لونها أصفراً ، و بدأت تصرخ في وجهيهما ؛

- ما هذا الهراء **؟!!**

- حضرة الضابطة ، هذا الفيديو أمامك **!** ما هو الهراء **؟!**

- أغربا عن وجهي بسرعة **!** لا شيء يدلّ على تورطها **!**

- ماذا **؟؟** تظهر في الفيديو هي و داران **!!**

أمرت كارما الحراس بإخراجهما ، و الآن ، عادت ماري إلى نقطة الصفر ..

" ذلك الغزال الذي عجزت عن صيده ، لا تشوّه سمعة لحمه .. "

الفصل
الرابع

- شبكة عنكبوت -
النهاية ..

" الإنسان بطبيعته ، يفضّل العيش في وهم ألّفه ، عن أن يعيش في واقع تعيس ، ولكن ، هنالك شيء ما في داخل الإنسان ، يمنعه من تقبّل هذا الوهم ، يمنعه من أن يكون على طبيعته في هذا الوهم ، و هذا ما يودي بالإنسان إلى الجنون ..

و هل تسائلتم ، ما هو هذا الوهم ؟

ليست الأحلام .. بل هي ثقته .. ثقته بأشياء لا تستحق الثقة ، مثل ثقته بحلمه ، و هو مجرّد حلم .. هذا ما يحدث عندما يثق الإنسان بأشخاص ، على الرغم من رؤيته حقيقتهم ، لكن ، هو لا يريد أن يتقبّل ، لذا ، فسيظلّ في هذه الدوامة إلى أن يظهر هؤلاء الأشخاص على حقيقتهم ..

يجب أن نختار حقيقتنا ، لا ما نريد أن تكون حقيقتنا .. "

تجلس ماري قرب شجرة في غابة الثانوية ، و كانت ترسم ، هاربة من واقعها ..

في قلبها ثقل الجبال بأسرها ، و في عقلها بركان أفكار يتوقّدُ ، جالسة بين يمينها و يسارها ، حائرة و ضائعة ، عيناها جفّت ، وفجأة ، سمعت صوتاً من خلفها يقول :

- أيّتها الوردة الحمراء ، هل تسمحين لي بالجلوس ؟

- تفضّل ..

- كيف أصبحتي ؟

- أنا لست بخير ، في حين أن لمى و داران يعيشون حياتهم بشكل طبيعي ، و امي تحت التراب بسببهم ..

- ماري ، أنا هنا، و سوف نحلّ كلّ شيء معاً ، أعلم كم تتألمين ، ولكن ، لست وحيدة ، تأكّدي ..

- ريان ، أشعر و كانني خسرت كل شيء ، لذا ، لا شيء لأخسره بعد ، أريد أن أقول لك شيئا ..

- ماري ، أنا أحبّكِ .

- ري.. ريان .. كيف عرفت ؟
- أنا أعرفك أكثر من نفسك يا ماري ..

أصبح لون وجهها أحمراً ، وابتسمت وردّت عليه ب : و أنا ايضاً ، أحبّك ..

- حسناً انا ذاهب .. أراكِ غداً ..

منزل آيزاك :

عاد ريان إلى المنزل ، و كان أبوه جالسا على الكنبة ، و بمجرد أن دخل ريان ، حتّى هجم عليه آيزاك و طرحه أرضاً ؛

- إسمع يا ولد ، هل تحيك الخطط من خلفي ؟؟ ما علاقتك بعائلة ذلك اللعين جو و بابنته ؟؟!

- أبي أرجوك أنا أصاب بنوبة الربو !! لم أفعل شيء أقسم لك ؟!

بدأ آيزاك بضربه ، حتى غاب عن الوعي من قلة الأوكسيجين حيث أنه مصاب بالربو .. و بعدها خرج آيزاك من المنزل ، فركضت يارا نحو ريان ، و اعطته جرعة الدواء ، فعاد إلى وعيه ، لكنه تكسّر تكسيراً ..

و بمجرد أن استعاد وعيه ، حمل محفظته مترنحاً ، وخرج متوجّهاً إلى منزل قاتل ليان ..حيث بعد ما جرى ، فهم كلّ شيء ..

مرّ شهر ، و تطوّرت علاقة ماري و ريان ، حيث تعلّقت ماري به كثيرا، خصوصا بعد فقدانها لأمها ..و لكن ، خلال هذا الشهر ، كان ريان يعرف قاتل أم ماري ، لكنه لم يخبرها ...

" أصعب ما في هذه الحياة ، هو الوقوف بين العقل و القلب .. "

" في أشد زوايا العتمة ، ينسج الألم شبكته بدقة هندسية مرعبة .. خيوطٌ غير مرئية تحاصر الروح وتخنقها.. تلك الشبكة التي غُزلت في الظلام الدامس لتكون مقبرة، هي ذاتها التي تتلألأ كعقدٍ من الألماس حين يلامسها خيطٌ واحدٌ من النور .. "

غابة ثانوية مونتريال الخاصة :

يقف ريان ، في يده مسدّس موجّه إلى رأس أبيه ، خلفه أوران و ماري .. وكانت يده ترتجف ، يأكل شفتيه ، و الدموع تنهمر من عينيه ..

- كانت حياتي لعنة يا آيزاك ويسترن ! كانت لعنة عليّ ، أنت .. أنا سوف اصبح قاتل والدي، لكنك لست إلا والدا بيولوجيا .. لست والدي يا آيزاك ! لست !

- إبني توقف .. لن تفعلها ، أنا أعرفك..

- لا تعرفني !!! أصمت لا تعرف حتى و لو شيئا واحداً عنّي ، قل لي كلّ ما حدث ! كل شيء عن والد ماري !

- عدني بأنك سوف تنزل السلاح ..

- تكلّم يا آيزاك تكلّم !!!!!

- كنّا في إجتماع اداريّ ، و بعدها أتى والدك يا أوران .. نعم والدك ، و كان غاضبا مني بسبب خلافات ، و في ذلك اليوم ، أنا .. قتلته ، و كان جو و جورجيو و كايل في نفس المكان .. حاول جو كشف كل شيء ، فقتلته ، بعدها ، حاول جورجيو ، فخطفت ابنته .. هي ليست ميّتة كما تظنون ، بل هي الآن تحت يديّ .. استغليت جورحيو لأنه على علاقة مع الضابطة كارما .. و.. وكان كايل يساعدني في كلّ هذا .. و عمّك يا اوران ، هذا الرجل الذي رباك .. كان يعلم بكل شيء، لكنني أسكتته بالمال .. هذا أنا يا ولدي !! أنزل السلاح !!!

- ماذا .. ما ... ماذا عن الآنسة ليان ؟؟

- نادين قتلتها !!!

قُطعت أنفاس ماري ، و توقف كل شيء من حولها .. فقدت السيطرة على حواسها ، و كان الجميع بقف مصدوماً .. و هو يكمل :

- كايل هو من خطف ليلى ، و بعدها أقنع نادين بأن تحاول خطف ليان حيث انها تستطيع الدخول الى المنزل ، و لكن .. انتهت تلك الليلة بقتل ليان ، نعم يا ماري !! تلك التي تحبينها !! مضحك .. هي من أخرجت روحك و روح أمك !!

وقعت ماري على الأرض ، فأطلق ريان النار الى السماء و بدأ بالصراخ :

- لم تكتفي ايها اللعين !!! لم تكنفي بقتلك أمي أمام عينيّ و انا طفل صغير ، بل كنت سببا في كل ما جرى !! في كل الارواح التي زهقت !!

بعدها .. أطلق النار في صدره ..

مستودع سميث - مستودع كايل سميث - :

نادين مربوطة قرب أمها ، وكان فمها مغلقاً .. وامامهما ، كايل موجّهاً سلاحه ..

" لقد أنهيت نفسي ، و أنهيتكما معي "

كان ينظر في وجهيهما ، و الدموع تسيل من عينيه ، أغمضهما ، وخفض رأسه ، و بالمقابل ، زاد صوت الصراخ …

صوت إطلاق نار هز المكان، و بعده ، وجه المسدس الى راسه ، و انتحر …

أَعْطَيْتُكَ سَيْفِي لِأُرِيـكَ وَفَائِي ... فَمَالِي أَرَى سَيْفِي تَمْلَؤُهُ دِمَائِي

سَقَطْتُ جَرِيحاً وَالظَّلَامُ يَفُتُّنِي ... فَلَمَّا الْتَفَتُّ، رَأَيْتُ فِيكَ بَلَائِي

في المقبرة :

تنظر ماري في قبر نادين ، و الدموع تنهمر كالرصاص المذاب على خدّيها :

- كنتِ كلّ شيء بالنّسبة لي .. كنت أختي و سندي ، لكنك يا نادين ، لكن .. خرجت روح أمي بسبب يديك .. لماذا فعلتِ هذا ؟؟ كيف استطعت ؟؟ لا أعلم هل أعاتبك ام أبكي عليكِ .. كنت أرى فيكِ خلاصي و ملجئي ، كنت أهرب اليكِ ، إلى من أهرب منكِ ؟؟

طبطب ريان عليها ، حيث كان كلّ من داران و لمى و اوران ، يقفون و الدموع تسيل من عينيهم دون إرادة منهم .. حتّى أعشاب تلك الأرض ، لم تستطع تحمّل قسوة ما رأت من كسر ...

" كلّ من يثق ، ينتهي ."

نبحث عنه داخلنا ، بل في أعماق أعماقنا ، و نجده في نهاية الطريق ، عندما نريد أن نبدأ طريقاً جديداً ، يدلّنا ، و ندلّه ، يدلّنا على ذلك السَّدَف (النور الخارج من بين الشجر) ، و ندلّه على جروحنا ..

نور في الظّلام .

يتبع..